21

البعث والقضية الفلسطينية
وثائق للتاريخ

حول حرب المقاومة
وملحمة الكفاح الثوري المسلح

عزيز السيد جاسم



منشورات
الطليعة

تونس 1987

حول حرب المقاومة وملحمة الكفاح الثوري المسلح

عزيز السيد جاسم
بغداد 1971

عندما اطلق غيفارا صيحته الشهيرة حول اقامة اكثر من فيتنام واحدة بادرت شعوب (العالم الثالث) للوعي باصالة هذه الصيحة الثورية المدهشة . ولعل الجماهير العربية لم تكتف بهذا الوعي فحسب ، بل باشرت بالصنع الثوري ، وها هي تفتح النار من مئات المواقع ضد الامبريالية والصهيونية لترسم درب الخلاص المنشود ، درب الوحدة والتحرر والديمقراطية والاشتراكية .

يتفق الجميع على ان ثمة اشياء خطيرة تحدث في مناطق المجابهة مع اسرائيل ، وان تمهيداً كبيرا لحرب تحرير شعبية يعلن عن نفسه في كل لحظة . فالارض العربية حبلى بالثورة ، والنشاط الفدائي تزدحم به الارض المحتلة . وأولئك المقاتلون الثوريون العرب يتوغلون في الارض الملغومة .. وتنحسر بشكل نهائي الصورة السابقة والتقليدية التي ارادت ابقاءها الرجعية العربية . فالتضييع الذي حصل تاريخيا لارض فلسطين العربية لم يكن في اساسه الا بداية عملية للتواطؤ الصهيوني الامبريالي مع الرجعيين العرب . فعندما صرح حسين عام ١٩١٨ – ١٩١٩ : (مرحبا باليهود ، فنحن شعبان شقيقان) وعندما عقدت اتفاقية بين

فيصل و وايزمان ، كانت قد بدأت الانامل الرديئة بتحريك خيوط المؤامرة وحينما تحولت ـ اسرائيل ـ من فكرة خيالية ، وهرطقة تعيسة الى واقع استعماري فاشي، ظلت الرجعية العربية في تواطؤها الابدي مع الاستعمار والصهيونية ، فكرست النكسة القومية تحت واجهة الادعاءات العروبية .

فالمحاولات الرجعية الحكومية في الوطن العربي هي محاولات ـ اباء العروبة وسدتها ، بالادعاء والزور ، لكيما تكون امامهم فرص وسيعة لتنفيذ كافة المخططات الامبريالية والصهيونية . لذلك كانت المحاولات هذه ذات شقين ، متعارضين ظاهريا ، ومتفقين في حقيقتهما .

الدفاع عن فلسطين ، والمبالغة الجماسية في ذلك وراء التبجحات الابوية الداعرة من جهة ، وترسيخ الاحتلال وتدعيمه من جهة اخرى .

وقد كان المخطط الرجعي العربي ، واضح المرمى ، فهو يبتغي اولا افشال اية محاولة من قبل الجماهير الفلسطينية العربية لتحرير ارضها ، وذلك بحصرها في مجال محدود وفي تقايص ـ ان لم يكن نسف ـ امكاناتها .

وثانيا : في ايقاف الكفاح الثوري المسلح كوسيلة ، وحيدة ناجعة للتحرير واعادة القطر العربي ـ فلسطين ـ مجددا . وأفسد حلقات المخطط الرجعي امران: الاول: تعاظم الثورة العربية ودخولها في مستوى جديد ، تقدمي معاصر ، واعطاء الرابطة القومية العربية محتوى ثوريا اشتراكيا ذا أفق أممي ايضا . فأضحت الثورة الفلسطينية الجزء الباهر والحيوي من الثورة العربية المتنامية الاتساع أفقيا وعموديا .

والثاني : الفاشية الصهيونية التي اشاعت الارهاب الجماعي ومثلت ابشع تمثيل بالشعب العربي ، والتي ولدت بالضرورة

والحتم المقاومة الفلسطينية المسلحة كآخر أسلوب مجد قادر على حماية المصير وانقاذه من براثن الغول الصهيوني الفظ .

ان العمل الفدائي المتكاثر ، لم يعد اليوم مجرد عمل ، بل اصبح نشاطا واسع النطاق اثار اهتمام الجماهير في العالم كله ، وهذا هو النصر الاول الذي يشكل التوطئة الضرورية للانتصار التاريخي . ان فك اسار الانعزالية، واختراق المسافات الشاسعة، هو الدليل الاكيد على نضج النشاطات الفدائية الثورية ونوعية حجمها .

العمل الفدائي واقع ديناميكي متطور

ولكن الرجعية العربية المقترنة بالصهيونية في التخطيط المتآمر ، هي نفسها تعي اي تغير جذري هذا الذي يحدث الان . وهي تدرك تماما خطر ذلك التغير من خلال ما يلي :

اولا : وجود طلائع ثورية منظمة تحترف الكفاح المسلح ، وتمارس النشاط الثوري ممارسة فعلية دائبة بالاعتماد الكامل على ـالذاتـ والامكانات الموجودة . وبقدرة، خاصة على البذل ونكران الذات . وهذا ما يعني التهديد المباشر للصهيونية والرجعية العربية .

ثانيا : اذا كان احتلال الضفة الغربية من نهر الاردن او شرقي قناة السويس او هضبة الجولان قد جاء لخلو هذه المناطق من الاحزمة الثورية المقاتلة ، فان الضفة الشرقية الان ، والمناطق العربية المجاورة للاحتلال ، هي بؤر ثورية نشيطة سريعة الحركة والعمل ، ومتغيرة التكتيك .. وبذلك فان ستراتيجية التوسع الاسرائيلي اضحت مهددة ، فهي من جهة تدرك خطر الاعمال الثورية العربية على وجودها ، وبالتالي خطر التوسع الاحتلالي على ـاسرائيلـ نفسها فيما اذا ارادت زيادة رقعة الاحتلال ، كما انها من جهة اخرى تدخل في معركة فعلية مع المنظمات الفدائية

التي تجر الرأس الاسرائيلي الى معارك عديدة وكثيرة ، داخلية وخارجية ، مرغمة اياها على ذلك وهذا يخلق بحد ذاته استنزافا خطيرا بالنسبة لاسرائيل . ليس عسكريا او ماديا فحسب ، بل سايكولوجيا ، وهو الاستنزاف الاكثر الحاقا بالضرر لاسرائيل .

ثالثا : ان وجود الطلائع الثورية المسلحة في المناطق النارية ، قد نقل الثورة التحررية الى ارضها الحقيقية ، مما قطع على ـ الوصايات ـ الخارجية الطريق . فالطلائع والفصائل الثورية هذه ، هي التي تقرر بنفسها شعاراتها الستراتيجية وتاكتيكاتها . وهذا بدوره يضع الحكومات العربية على المحك ، مما يؤدي الى الانفضاح الكامل للمتاجرين بالقضية الفلسطينية . وبالعكس يؤدي الى توضيح الهوية القومية الثورية للنظم التقدمية العربية المشاركة في حرب التحرير .

ان كل ذلك هو الذي ازاح وأسقط كافة المساومات والمتاجرات الرخيصة بالقضية الفلسطينية .

رابعا : ان القضية الفلسطينية بعد ان هتكت المحاولات القطرية التي تستهدف بالتدريج غض النظر عن فلسطين وقبول ـ الواقع الاسرائيلي ! ـ وبعد ان تبلورت تماما كقضية قومية ، فان الجماهير العربية بعد انتكاسة حزيران قد انشدت انشدادا كاملا بالحرب التحريرية . والمنظمات الفدائية في عملها الثوري المستمر ليست مجرد هياكل تنظيمية عادية أو محدودة البنية ، بل هي تنظيمات متجذرة في الاوساط الجماهيرية وتتحرك بقدرة الجماهير العربية وبطاقاتها الثورية . وهذا ما يمنح الزخم الثوري للكفاح الفلسطيني المسلح . ويجعل الهجمات الاسرائيلية في طرق موصودة بعكس ما كان حاصلا سابقا ـ والآن لحد بسيط ـ . ان الجماهير تغذي المنظمات الفدائية وتدعمها باستمرار ، فهي المادة البشرية في الكفاح الثوري الحاسم .. كما انها تشكل الحماية الموثوق بها لخلفية المنظمات الفدائية في التقدم او في التراجع او في كل صور النضال .

خامسا : ان التظاهرة الثورية الكبيرة للشعب العربي والتي تظل محتدمة الاوار دائما ولحين النصر ، هي مدرسة لخلق ـالميليشياـ الشعبية ألتي تحول الارض الى ارض مأهولة بطوابير الثورة الشعبية ، مما يطور العمل الفدائي الى حرب عصابات ومن ثم حرب تحرير شعبية لا تكف عن تطوير نفسها واخصاب أبعادها.

سادسا : وبالتالي فان كل شعارات ـ التصفية السياسية ـ التي تنبثق وراء غطاء الحلول السلمية ، تفشل امام الوعي الشعبي الحاد ، كما فشلت وتفشل المساومات التافهة في مبادلات كان يطمح لها العدو الصهيوني ـ القدس مثلا او تشكيل دولة فلسطينية في الضفة الغربية ـ لقاء غايات خاصة يقدرها الصهاينة بدقة ومكر .

سابعا : ان حصول تغير نوعي في القيادة ألكفاحية ، واسقاط قيادة البورجوازية الصغيرة ، وحلول دور العمال والفلاحين وحلفائهم الثوريين في مكانة القيادة السياسية قد اعطى للمقاومة معناها الصحيح وبعدها التاريخي ، ودق اسفينا امام اعداء الثورة العربية .

التكتيك الرجعي المضاد للكفاح المسلح

ان الرجعية والبورجوازية العربية ظهيرتا الصهيونية والامبريالية لم تقفا في حدود التصرف السابق المضاد للثورة العربية . بل ان السلوك المضاد للثورة بدأ يغير أشكاله بحكم ما استجد ويستجد يوميا من تزايد لهب المقاومة الفلسطينية . وهذا التغيير هو في الواقع نوع من التكييف الخطير الذي يضمن للرجعية العربية امرار وسائلها التخريبية الخاصة . ولهذا فالقوى العربية الرجعية تعمل من خلال :

اولا : ان العمل الفدائي واقع وحقيقي لا تصح معارضته ، بل يصح العمل ضمنه . فمعارضة الكفاح المسلح تحمل الافلاس

السريع والفشل ايضا . ولهذا فان بعض الاطراف المغرقة في رجعيتها بدأت تمارس التأييد المحموم للنشاطات الفدائية ، حتى ان - البعض ! - بدأ يتبنى بتطرف كبير شعار -الكفاح المسلح- ! ومن داخل هذا المنطق تتواجد امكانية التآمر على الكفاح المسلح نفسه .

ثانيا : ان التعدد في المنظمات الفدائية وهو تعدد طبيعي يعكس التباينات الايديولوجية والانتماءات الطبقية ، ويحمل بعض الامراض الاجتماعية في الواقع العربي ، قد هيأ للقوى الرجعية افكارا عن كيفية الاستفادة من ذلك واستثمار هذا التعدد استثمارا مضادا . اما نوعية الاستثمار فهي متعينة في اساليب ووسائل عديدة - التغلغل ، المزايدات ، المصادمات ، الاشاعات ، الفتن ، اثارة الحساسيات .. الخ .

ان التكتيك الرجعي يدرس نقاط القوة في الكفاح العربي المسلح حتى يخطط اساليبه لافساد ذلك . فالمقاومة الفلسطينية: هي اولا مقاومة ناضجة تحمل معاني الثورة الجذرية ، وهي ثانيا: حلقة حيوية من حلقات الثورة العربية غير منكفئة في حدود سياجها القطري .

وهي ثالثا ذات قوة بشرية متزايدة يلمسها كل مراقب . وهي رابعا ذات ستراتيجية متقدمة ، وتلتحم ايضا بقوى التقدم والثورة في العالم ، مضافة الى تجارب الثورة العالمية كتجربة ثورية جديدة .

وهي خامسا : تتقوى بفعل المباراة الثورية النظيفة بين المنظمات المقاتلة من اجل احراز انتصارات نافعة في تكبيد العدو الصهيوني خسائر فادحة وفي تبديد جهوده في حرب طويلة الامد.

ولذلك يسعى الامبرياليون والصهاينة والرجعيون العرب الى ابراز ما يلي :

١ - قطرية المقاومة وعزلها عن معناها القومي للتقليل من قواها واحباط طاقاتها المحدودة . مع خلق مهاترات سوفسطائية

لتضخيم الروح القطرية .

٢ ـ ومن الجانب الاخر يتم ابراز رأي سخيف للتهوين من قدرة الفلسطينيين واطلاق نعوت عدوانية ضدهم . وهذا الجانب يتناقض مع الجانب الاول ولكنه يكمله في المنطق الرجعي .

٣ ـ عدم التفريق بين ـالصهيونيةـ وبين ـاليهوديةـ . او بايجاد فروقات غير صحيحة . وقد يرفع بعض التقدميين مفاهيم انسانية سطحية توقعهم دون ان يشعروا في دفاع تبريري عن اليهودية . فالصهيونية هي في التحليل العلمي جوهر اليهودية . ومن المستحيل وجود يهودي سياسي غير صهيوني . أن اليهودي السياسي غير الصهيوني هو ذلك الذي تحرر من يهوديته . غير أن هذا التحليل نفسه يجب ان لا يفسر بان كل يهودي هو صهيوني، لاتخاذ موقف بمقتضى ذلك . فهناك يهود ربما لا يريدون ان يتصرفوا كصهاينة . وهناك الانعزاليون الذين لا يدخلون في ـ ورطة سياسية ! ـ وهناك المترددون والانتظاريون .. غير ان القسم الجدير بالفهم هو ـ اليهود الصهاينة غير السياسيين ـ . اما القسم الذي يجب الاتصال به وتوثيق الحوار معه فهو الذي يشمل اليهود الذين انسلخوا كليا عن يهوديتهم بفعل اهتماماتهم اليسارية الصادقة .

٤ ـ تحويل المقاتل العربي الى مقاتل فقط ومنعه من ان يكون سياسيا ثوريا واعيا .

٥ ـ الاستهانة بدور النظرية الثورية وحجر المقاومة في شروط بدائية ساذجة وذلك كرد فعل ضد تطور منطلقات المقاومة الثورية وستراتيجيتها الجذرية وأفقها التقدمي الثوري .

٦ ـ تعميق الخلافات ـ وهي خلافات ليست غريبة بين المنظمات الفدائية ـ وتسعيرها ، مع ايجاد نوع من المفاخرات العشائرية تنعكس في دعاية كل منظمة لنفسها بشكل مبالغ به .

٧ ـ دفع الخلافات الى اقصى حدود التطرّف ـ يمينا ويسارا ـ ، وتشجيع وتبني الموقف البورجوازي الصغير المندفع

تارة والمحافظ تارة ثانية والمنتكس تارة ثالثة .

٨ ـ تقوية الاجوبة العاطفية وردود الافعال وجر بعض المنظمات الفدائية الى اخطاء ومواقف انفصالية هي ردود فعل قبل ان تكون مواقف عقلانية مدروسة ، لتنفيذ اتفاق مع الحكومة الاسرائيلية للقيام بعملية معادية . من الملاحظ هنا ان التكتيك الاسرائيلي لا يزال صاحب الصولة . فالاسرائيليون اذ يخلقون ازمة عن طريق عملائهم في لبنان، ينتقلون مباشرة وبشكل مفاجيء لضرب الفدائيين في الجولان ، واذ تتوجه الانظار الى الجولان والى خلافات اخرى ، يقوم الاسرائيليون بهجوم ضد قطعات الجيش العراقي . ان منطق الضربة الخاطفة وغير المتوقعة ، من جبهة لجبهة ، لا زال يحكم التكتيك الاسرائيلي وذيله التكتيك الرجعي العربي .

جبهة التحرير العربية وايضاحات ثورية

ان ميلاد جبهة التحرير العربية قد جاء بفعل بواعث عديدة . فالسعي لايجاد منظمة قومية تقاوم الفصل بين ما هو فلسطيني وما هو عربي على ارضية المعركة الثورية . ولايجاد ترابط عضوي بين النظرية الثورية والممارسة العملية ، وازاحة نفوذ الذهنية البورجوازية الصغيرة بتعميق الفكر الثوري العلمي واستيعاب التجارب الثورية في العالم . كان كل ذلك علة هذا الميلاد . ووقوف حزب البعث العربي الاشتراكي هذا الموقف في اقامة هذا التنظيم مع عدم تلكؤه عن دعم المنظمات الفدائية الاخرى قد جعل هذا الميلاد صحيحا وصحيا .

واثناء زيارتي لبعض مقرات جبهة التحرير العربية لفت انتباهي ما يلي :

اولا ـ ان الفدائي المنضم الى جبهة التحرير العربية يحمل السلاح بيد والكتاب بيد اخرى مما يدلل على ان مستوى الفدائي

العربي يرتفع باستمرار الى المستوى الثوري المنشود . فالثقافة الثورية تلازم العمل الثوري والمهمتان (القتال والتثقيف) لا يمكن فصلهما بالنسبة للمكافح الثوري المعاصر .

ومن الواضح ان الفدائيين في بعض المنظمات الفدائية الاخرى يمارسون التثقيف الذاتي ايضا باطراد وهذا دليل فأل حسن. فالصورة المأخوذة خطأ عن الفدائي انه مقاتل ومضح لاهداف غير واضحة وغير معاصرة. في حين ان تصحيح ذلك يجري باستمرار. ان الفدائي العربي هو مقاتل ثوري يمتلك رؤية ثورية متسعة ويرتبط بالقضية ارتباط الثوري بالثورة دون ان يكون الارتباط حسيا فجا وميكانيكيا سطحيا . هذا ما تعمل منظمات المقاومة بدأب وجهد لابرازه .

ثانيا ـ اكد اغلب المسؤولين في جبهة التحرير العربية عن اهتمامهم الاساسي بالقيام بعمليات عسكرية مشتركة مع المنظمات الفدائية الاخرى . وعدم ميلهم للانفراد في انجاز عمليات خاصة. وهذا يحمل دلالة مضيئة حيث يتعزز اللقاء على ارض المعركة وفي العمليات الموحدة وفي مجابهة المصير الواحد . وهذا اللقاء العملي الحميم اكثر جدوى في خلق الصلات من المحاورات الرسمية (القممية) فصلات القواعد الفدائية وضغوطها تفرض الى حد كبير الكثير من نقاط الاتفاق على القيادات .

وقد تكون اللقاءات في العمليات القتالية الواحدة ، مبرمجة ومهيأ لها . وأحيانا تحدث بالصدفة والتوافق بدون اتفاق مسبق.

ثالثا ـ كما جرى التأكيد من قبل المسؤولين على ضرورة التواضع الاعلامي . فالمبالغة في الدعاية وتضخيم النتائج الجيدة وتهويل العمليات والارقام ليس من صفات الثوريين .

رابعا ـ أكد المسؤولون ايضا على حرصهم الكبير على وحدة المنظمات الفدائية او ضرورة التعاون وتنسيق الاعمال الثورية . ومما يبهج حقا ما لمسته من تقدير خاص لديهم لكافة المنظمات الفدائية الموجودة . فالنقد يجب ان لا يوصل الى القطيعة او الى

التمزق ، بل هو الطريق الموصل للوحدة في العمل والانجاز .

خامسا ـ ان التدريب المستمر والمركز يرتبط ايضا بحسابات دقيقة عن اية معركة قبل الدخول بها او خوضها . فمبدأ عدم التفريط بالفدائي هو الموقف الصحيح الذي يعاكس الخطأ الضار بتقديم الضحايا والدخول في معارك دون حسابات عملية واعية .

لقد دفعت المفاخرات البعض الى تقديم المزيد من الضحايا والاستهانة بالاهمية الانسانية للفرد . وكان ذلك مظهرا من مظاهر الانفعالية العاطفية والاضطراب في العمل .

ان شعار تقديم اقل ما يمكن من الضحايا في جولات مهمة مريحة هو الشعار الذي يجب الالتزام به .

فلسطين هي القضية المركزية

من اجل ان نفهم جيدا المركز الذي تحتله قضية فلسطين داخل الثورة العربية لا بد ان تكون محمولات فهمنا هذا معتمدة الواقع اولا والايديولوجيا الثورية ثانيا .

فتتبع حلقات الواقع الذي عاشته وتعيشه الامة العربية هو وحده الذي يمكن من تحديد طبيعة القضية الفلسطينية ، كما ان وعي ذلك وامتلاك القدرة على التصور من خلال منظورات الثورة العربية الاساسية يعطي للقضية أبعادها الاساسية .

ما الذي نتوصل الى ادراكه عبر استقراء الواقع العربي المتضمن قضية فلسطين بالذات ؟.. ان الجواب على هذا السؤال هو الذي يضعنا امام منطلقات واقعية سليمة . اولا وقبل كل شيء ان عروبة فلسطين تفتح جوهرا جديا للموضوع . فالعروبة كحقيقة قائمة ، لا يتهيأ لها ان تكون قوة انسانية وحضارية فعالة في مسار التاريخ العالمي ، اذا لم تتحصن ضد التحديات الخارجية . وعصرنا، عصر الامبريالية الفاشية ، يفترض بالاساس ان تكون أمتنا ليست داخلة في فلك الصراعات العالمية فحسب ، بل ان يكون لها دورها وفعاليتها الملموسة .

بمعنى ان التوسع الامبريالي الفاشي وما يتصف به هـذا التوسع من امكانية كبيرة للتحايل الدولـي وامرار المخططات الاستعمارية والرجعية لا بد ان تنال أمتنا على يديه اقسى المحن والضربات وهذا ما هو حاصل فعلا ، ويعلن عن نفسه في تقسيم الامة الى اقطار مستعمَرة وفي تنصيب حكومات رجعية عميلة ، وفي تركيب اجهزة قمعية تتوجه بالضربات الارهابية ضد حركات التحرر الوطني والقومي .

ضمن هذا التوضيح يكون فعل الاستعمار داخل وطننا العربي فعلا متساويا مع ما يمارسه من افعال اخرى مضادة للشعوب . ولكن الخطر الجديد الذي داهم به الاستعمار وحلفاؤه شعبنـا العربي هو من طراز آخر . فاحتلال (فلسطين) والعمل على ابادة الانسان العربي وحلول أسلوب من نوع جديـد هو (الصهينة) ، وضع الشعب العربي ضمن خطة بالغة الخطر ، رسمها باتقـان الاستعمار العالمي والصهيونية .

ان القضية الفلسطينية في جوهرها هي قضية تدمير وجود الانسان العربي تدميرا جماعيا منظما وذلك في عصر هو عصر ما بعد الانتصار على النازية والفاشية . ففي عصر كهذا هو عصر القوميات المتحررة ، والمناضلة من اجل اكتشاف سبلها الانسانية الخاصة ، تنمو تجربة لا انسانية ، جهنمية ، هي تجربة اسرائيل.

ان هذا البعد للقضية الفلسطينية هو في كل الاحوال بعـد قومي قرره ولا يزال يقرره الفعل الصهيوني القائم . بعد الانسان العربي المحكوم بالاعدام والتشريد من اجل ان يزرع في ارضه انسان آلي مستورد هو الصهيوني .

ولكن هذا الحكم الفاشي في عصر يعيش ثمرات الانتصار على الفاشية ، ليس قاصر الاثر فيما هو واضح على العربي فيفلسطين بل ان خطره المدمر يمتد الى مجمل الوجود التاريخي والحضاري والبشري للامة العربية . والابتداء بفلسطين العربية في منطـق اسرائيل يحمل معه التحرك السرطاني نحو حدود الاقطار العربية

المجاورة . اي ان الغاية السرية لاسرائيل كشفت عن نفسها في مخطط الاستحواذ والسيطرة واشعال الحروب وذلك لتأدية اغراضها الكاملة وتثبيت مصالحها وتكريس التسلط الامبريالي في منطقة حيوية من مناطق (العالم الثالث) .

ان تاريخ اسرائيل الذي هو في واقعه وأساسه تاريخ توسعي، قد بيّن بجلاء ما بعده جلاء مرحلية التوسع . ففي كل مرحلة زمنية تضيف اسرائيل لنفسها رقعة عربية محتلة . وكان آخر ما قامت به اسرائيل في عدوان الخامس من حزيران اقتطاع ارض عربية جديدة (من مصر والاردن وسوريا) والحاقها بحدودها المزعومة .

ان عملية الصهينة المذكورة لا تشمل العربي في فلسطين ، بل هي موجهة ضد الجماهير العربية عموما . ونسب القتلى والمشردين واللاجئين والمرضى من الجماهير العربية تكشف بوضوح عن هذه الحقيقة كما تكشف في الوقت ذاته عن الطبيعة الموضوعية لعروبة فلسطين وقومية قضيتها . انها القضية اللاهبة الاكثر خطرا والاكثر وحشية والتي من خلالها تتحشد ابشع النقمات الاستعمارية ، لمحق الوجود العربي ، وأبسط ما يتطلبه هذا الواقع ، ان يواجه هذا الحشد الجماعي من اعداء الامة العربية ، بحشد مقابل من الامة العربية جمعاء .

كما ان النضال العربي من اجل تحقيق بناء داخلي صحي لها ومنسجم مع تطورات العصر ، كان ـ وسيبقى ـ هو المهمة المركزية لكل تكوين ثوري . ان الاستيطان الاسرائيلي قد خلق عقدة من المشاكل للامة العربية تعطلها عن تحقيق التقدم في حياة جماهيرها .

ان الامة العربية المجزأة على نحو يفوق حدود الوصف ، تعيش ايضا متاعب داخلية مزمنة . فالاستغلال الداخلي الذي يعصف بأمن الجماهير ومصيرها ، وبشاعة انظمة الحكم الرجعية ، وموجات التحرك الرجعي الظلامية ، كل ذلك قد لفق الوضع النوعي للامة لاسيما وان الاستعمار قد احكم سيطرته بشكل

مباشر او غير مباشر على اكثر اجزاء الوطن العربي .

ضمن ذلك ، جاءت الصهيونية لتكريس هذا كله واحتوائه في المشكلة الاعم والاعنف والاذكى . فالصهيونية لن تتوقف اذن عند حدود احتلال فلسطين ولا عند حدود الاحتلالات الاخيرة ، فضلا عن انها تتعهد بالاتصال بالعناصر والنظم الرجعية والعميلة داخل الوطن العربي للعمل على بقائها وتنسيق العلاقات معها لتطويق الشعب العربي وتفتيته .

ان الصهاينة لم يظهروا غيرة كالغيرة التي اظهروها ازاء(حسين) ملك الاردن . وازاء كل العناصر الرجعية المتواصلة في صف استعماري واحد .

لقد وصلت الامور باسرائيل ان تدعي بأن اي حدث داخل الوطن العربي لا يمكن ان تصمت عنه لانه يتعلق بسلامتها . وذلك هو التمهيد الذي تطرحه اسرائيل على ضوء أطماعها البعيدة المدى.

وفعلا لم يعد اليوم هناك اي حدث او تحرك او حوار او مفاوضة داخل الاقطار العربية الا والقضية الفلسطينية مركز البحث في ذلك كله .

ان التاريخ العربي المعاصر لا يصنع الا من خلال طريق واحد هو طريق التحرر من الصهيونية . فالصهيونية ، كواقع ، قد اضحت الخطر الذي يرمي شباكه التآمرية في كل جزء من الوطن العربي وضد الانسان العربي في اي مكان .

ان ارتعاب الامبريالية من تعاظم نضال الشعوب في العالم قد اعلن عن ميلاد النازية سابقا ، والصهيونية لاحقا كأسلوب جديد ضد الامم وحقها في الوحدة والحرية .

من هذا كله يتضح لنا استحالة وجود تقدم عربي او حركة نضالية عربية دون ان تعنى بالقضية الفلسطينية كقضية محورية. كما انه يتضح استحالة وجود فهم او شبه فهم للقضية الفلسطينية خارج اطارها العربي الكامل .

بذلك يكون من مسلمات الامور ان القضية الفلسطينية تطرح

مفهومات واقعية للثورة العربية مما يكسب الثورة العربية دلالات عميقة واكثر رسوخا .

ان النضال من اجل التحرير ودحر الصهيونية يعطي الثورة القومية أبعادها المعاصرة ، بمعنى انه ليس مجرد نضال وطني ذي اهداف محدودة بل هو نضال يستجيب لضرورات عملية التحرير ولضرورات الثورة الاجتماعية ايضا .

فالطبقات الاجتماعية الكادحة صاحبة المصلحة في الثورة هي التي يهمها تعزيز المواقع النضالية من اجل دحر الصهيونية ، كما يهمها الحفاظ على النظم الوطنية . في حين ان الطبقات الاقطاعية والبرجوازية الكومبرادورية والبيروقراطية هي التي تسعى جاهدة لعزل بناء اي قطر عربي عن عموم النضال القومي من اجل تحرير الارض المغتصبة .

وضمن هذا المقياس الواقعي فان القوى الثورية التي تباشر الكفاح المسلح هي قوى اجتماعية متعرضة باستمرار للاضطهاد الطبقي . لذلك فان النظام الملكي الرجعي الفاشي في الاردن يخطط بشكل محموم لضرب المنظمات الفدائية ، لان هذه المنظمات مدركة تماما لنوعية المعركة . وهذا الادراك وليد التجربة (مع ما جره التأخر في ادراك الحقيقة من مخاطر على العمل الثوري الفدائي) .

ان من المستحيل تجزئة المعركة بتجزئة اعداء المقاومة ، فالصهاينة والامبرياليون والرجعية العربية والطبقات المستغلة يقفون جميعا على خط واحد هو خط المعاداة النهائية لاماني وحقوق وحريات الشعب العربي .

وان المرحلة الجديدة التي وصلتها المقاومة من اجل التحرير، بعد تجربة ١٧ ايلول من العام المنصرم تؤكد وحدة العمل الثوري العربي وتركزه . فالارض العربية بعمومها يجب ان تكون منطلقا للنضال . وساحة تحتوي على خطوط متعاقبة مفتوحة امام المقاومة المسلحة .

ولاول مرة في تاريخ الامة العربية بعد عدة عقود زمنية ،

تضع القضية الفلسطينية جميع القوى العربية على المحك الحقيقي. فالالتزامات الكثيرة التي تأخذ شكل المتاجرة والتبجح في الفراغ، لم تعد تنطلي على احد . ان منطق الثورة الحقيقية ليس من خلال برامج قطرية او وطنية عادية او بواسطة اصباغ الابهام . انه منطق الكفاح المسلح من اجل التحرير ، وممارسة هذا المنطق بشكل واقعي في ارض المعركة .

ان المقياس الصحيح الذي اكدته اكداس التجارب في واقعنا العربي هو : ان اي انجاز وطني لا يجري من خلال نهج قومي ، سوف يبقى انجازا مبتورا لا تتوفر فيه اسباب الديمومة والحياة، كما ان اي انجاز قومي اصيل ، لا بد ان يبسط جناحيه على الاوضاع القطرية، وان اي انفصال يحدث في التخطيط او التنفيذ بين ما هو قومي وما هو قطري ، لن يعود على مسيرة الثورة العربية الا بالاذى ، كما ان التخوف من تضخم الالتزامات القومية بحجة المحافظة على ظروف القطر ومصالحه هو بالذات الذي يقود القطر في طريق الانحدار ، ويهيء اسباب سقوطه السياسي . ان الالتزام القومي ، هو قبل كل شيء وطني ، والقضايا الوطنية ، لاسيما المصيرية منها ، لا تحسب بموازين التجارة . بل بموازين اماني الشعوب ، ومبادىء الثورة .

فتطور حركة المقاومة المسلحة من اجل تحرير فلسطين ترشد جميع الاجزاء التي يتصور البعض افتراقها الدائم . وما من نظام، كائنا ما يكون ، بقادر على بناء نفسه خارج تيار حركة المقاومة المسلحة . كما انه ما من ثورة فعلية صادقة ، الا اذا عبرت عن ثوريتها بالكفاح القومي .

لقد تاجرت الرجعية كثيرا بالقضية الفلسطينية ، وانفضحت امام الجماهير العربية وكذلك تاجرت نظم قطرية عديدة بذلك ايضا ثم انفضحت . كما ان الاحداث الاخيرة (١) اكدت ان كل من

---

١ ـ أحداث ايلول ١٩٧٠ .

لم يلتزم الانتصار للمقاومة والدعم الكثيف لها ، سوف لا يكون عبر التاريخ وفي ذاكرة الجماهير احسن حالا من القوى التي انفضحت على طوال المراحل السابقة .

هذا وان البرامج البرجوازية الصغيرة ذات التصخاب المدوخ لم تعد ترضي احدا لان حماستها سرعان ما تفتر عندما يحين وضع هذه المناهج قيد التطبيق وتدق ساعة الجد والمصير .

ان السياسة الثورية الحقيقية يجب ان تتطابق مع الالتزامات القومية تطابقا كاملا متجسدا في تطبيقات واقعية ملموسة تعبر بذاتها عن هوية هذه السياسة او تلك .

وقد ثبت الى اقصى حد ان عدم جذية النظم في دعم حركة المقاومة ، والاستعداد لابقائها في وضعها المنفرد والمأساوي ، يعنيان فشل هذه النظم على صعيدها القطري ، وحذرها من دخول الجماهير العربية ساحة الكفاح المسلح .

ان اي نظام قطري مفكك ومهزوز من الداخل وليست لديه خطوط اساسية للبناء الديمقراطي الشعبي ، لا بد ان تكون التزاماته مجرد وهم .

وهذا وحده دليل المرابطة العضوية ، ودليل تماسك حلقات الثورة العربية التي تشكل حركة المقاومة من اجل تحرير فلسطين والارض العربية المحتلة الحلقة الاقوى والاكثر اهمية منها .

ان القضية الفلسطينية تستوعب جميع اهداف النورة العربية وتعبر عنها . وهي ايضا (ولذلك بالطبع) تغتني بالكثير من التجارب ، وتتوسع آفاق رؤيتها وتتقدم برامجها صعدا في طريق الثورة الوحدوية الاشتراكية الديمقراطية .

ولهذا السبب بالذات ، تستميت اليوم ، جميع القوى المعادية للثورة العربية . من اجل عزل القضية الفلسطينية عن اطارها القومي ، لان المعنى الوحيد لعروبة القضية الفلسطينية هو الثورة العربية ، وهذا بالذات ما ترتعد منه فرائص الصهيونية والامبريالية وجميع صفوف الرجعية والعمالة والكمبرادور ، لان

مضمونه هو تحرر العرب وتحقق الوحدة ، وقبر جميع الاحلام الغريزية والاطماع الوحشية لتلك القوى ، لا في المنطقة العربية فحسب ، بل وفي جميع ارجاء العالم ايضا .

وبالطبع ليس الذي يهم امتنا ، ما هو عليه موقف هذه القوى الشريرة والمتخلفة ، لانها تعرف موقفها جيداً . لكن الذي يهم امتنا ، في هذه المحنة المصيرية بالذات ان تكشف بوضوح حقيقة مواقف والتزامات مؤسساتها المختلفة من احزاب وقوى ونظم . لان المواقف البطولية والوفاء بالالتزامات القومية ، وحدهما ، هما اللذان سيكونان في ضمير الامة الاساس الذي لا اساس سواه ، في تقييم جوهر اي حزب او مؤسسة او نظام .

ان الجماهير لا تصنع ثورات ، لكي يقال عنها انها صنعت ثورات !!.. بل تصنع هذه الثورات ــ اولا واخيرا ــ من اجل أن تترجم بالتحدي الواقعي البطولي ، ارادتها الفولاذية بالتحرر ، واستعدادها الذي لا يقام لمغازلة اعدائها وسحقهم .

اما ان تتعرض قضية المصير للهزيمة والفناء ، وان تتهدد حتى الاستقلالات القطرية الهزيلة بالضياع ، وتسلب الارض ويباد الشعب ، وتقف القوى التي تدعي الطليعية والثورية ، من هذا كله موقف المتفرج او المتردد او الخائف ، تحت شعار الف ذريعة وذريعة ، فذلك لن يكون له تأويل قط ، الا بأن طليعية هذه القوى هي طليعية « من خلف » .. وان ثورتها هي الثورة المضادة .

وان جماهير الامة العربية ، في التفافها الجماعي حول حركة المقاومة المسلحة بعد كارثة حزيران ، انما اصدرت حكما مبرما ، بسقوط جميع الاساليب والمناورات السياسية التقليدية الفاشلة، وكذلك بسقوط جميع الاستراتيجيات العربية التي كانت ــ وما زالت ــ تقوم على اساس النظر الى قضية الثورة العربية ، بمنظار الحروب النظامية ، او الصراع بين الحكومات والمؤسسات الدولية .

ان قضية فلسطين هي الثورة المركزية في ثورة العرب ، لا

لاننا هكذا نريدها ، بل لانها تحتل هذا الموقع من كفاح الامة العربية ، بحكم جميع الظروف الموضوعية ، القطرية والقومية والعالمية ، التي لا نملك تغييرها حتى لو اردنا مثل هذا التغيير .

وما دام الامر كذلك ، فان من العبث ان يدعي الثورية من لا يتواجد بكليته في قلب هذه البؤرة . لان الثورية هي ممارسة الثورة في أرض الثورة ، لا التغني بالثورة في الاعياد والمواسم وعلى موجات الاثير .

لقد هيأت جماهيرنا شروط ثورتها ، خلال نصف قرن من الكفاح الدامي والعذاب المرير . وامكن لكارثة حزيران ان تفجر الثورة وتضع جنينها في مضمون الكفاح المسلح ، وبذلك يضع التاريخ ـ لا نحن ولا سوانا ـ جميع القوى والمؤسسات والنظم العربية ، لاسيما الطليعية منها والثورية ، امام امتحان اصالتها الوطنية والقومية اولا ، ومن ثم الطليعية والثورية .

لقد تفجرت الثورة العربية بالكفاح المسلح ، وقد تفجرت بفعل شروط تاريخية موضوعية حتمية ، ولم يعد امام الثوار ، غير ان يكونوا في قلب الثورة ، او يتواروا الى الابد .

ومهما كان موقف هذه الفئة او تلك ، هذا النظام او ذاك ، فان موقف الجماهير من قضية ثورتها المركزية قضية فلسطين ، سيبقى وحده الموقف الحاسم الاخير الذي لا يمكن ان يتراجع ولا ان يقهر ابدا .

عزيز السيّد جاسم